الإسلام والتصوف

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الطنيخي
عضو جماعة كبار العلماء

هو دين الفطرة السليمة والمبادىء القويمة . يدعو إليه العقل إذا استقام على منهاج سليم من التفكير والنظر الصحيح إلى أسرار هذا الكون ، وخصائص الوجود ، ورأس سنامه الوحدانية المطلقة من كل قيد لله بارىء الكون خالق الخلق تستنطق الوحدانية ، وتفرده كل معالم هذا الوجود لا تعقيد فيه ولا لبس ولا يحتاج إلى الدليل إلى القضايا المعقدة ، والنظريات الفلسفية لأنه منطق المخلوقات جميعا تنطق به حاجاتها إليه وتدل عليه فى تطورها وجوداً وعدما فهو دين البدء الذى ينظر إلى السماء ونجومها والفلاة ومعالمها ودين العالم الذى يرى بعلمه عقله ويربط بين الموجودات بعضها ببعض . ويقيس الأشياء على نظائرها . فيخرج من علمه مؤمناً بوحدانية خالق الكون الذى لا شريك له سبحانه وهو كذلك دين التصوف الذى يغلب عليه الروحانية والتأمل فى أسرار النفس الإنسانية والنظر إلى ماوراء هذه المحسات والمشاهدات والسمو بالروح فى عالم يحاول به أن يتصل بالملأ الأعلى وسر النفس الإنسانية فهو إذ يتعبد به المؤمن لربه ويرى أن الكمال فى الاتصال به ينبغى هذه العبادات وسائل لطهارة نفسه وخلوصها من شوائب المادة التى ترتكس بالإنسان إلى مهاوى الموبقات وزخرفها .

قال ابن خلدون فى مقدمته « التصوف من العلوم الشرعية وأصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه . والانفراد عن الخلق إلى الخلق فى الخلوة للعبادة (يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) وقد كان ذلك شائعاً فى الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح . ولما عم الاقبال على الدنيا فى صدر القرن الثانى وما بعده . وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا . اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية أو المتصوفة

والصوفية لايكنزون ذهباً ولا حطبا . ولا يدعون نسباً ولا حسبا . وإنما عملهم كما بين القرآن : إن أكرم الناس عندالله أتقاهم ، إذاسمع الواحد منهم آية ربه تذكره وتنذره صغرت الدنيا فى عينيه وصغر متاعها ، ومن فيها حتى ملوكها وهانوا ، وهاهو أحدهم فى مسجده يدخل عليه ملك البلاد ، فيقول : ألك حاجة ؟ فيجيبه أستحى أن أسأل فى بيت مولاى غيره ، فوكزه فقضى عليه . بهذه الإجابة الناطقة بأن الصوفى لايسأل غير الله ، ولا يشهد غير طاعته وحبه . ذلك لأنه باع نفسه لله ليؤدى البر المفروض . ويدرك الشرف المخلد (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) وأدب الصوفى ينبعث من نفسه كما ينبعث صوت البلبل الغريد عن نفسه وهو دائماً الهائم فى حبه يغنى به .

إن قلبه مستودع الذخائر وبرهان ربه منه حاضر ، نظر إلى الناس فوجدهم يقولون :

ولا بد من شكوى إلى ذى مروءة يواسيك أو يسليك أو يتـــوجع

لا يتنفس بالآهة أو الأنة ، بل يكظم مرضه إن مرض فلا يترجم عنه شىء . فإذا سئل فى ذلك قال :

ويمنعنى من الشكوى إلى الناس أننى عليل ومن أشكو إليه عليـــــل
ويمنعـــــنى الشكوى إلى الله أنه عليم بمـــــا أرجو وما سأقول

عمى السميع إلا فى الأسحار والناس نيام يحب الله ويخشاه ، ويرهبه ويرجوه . وقد سئل جلال ما بال الصوفية أحسن الناس وجوهاً فقال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره . والصوفى دائماً يعبد الله وغايته رضاه ناظراً لقول الله تعالى : (يريدون وجهه) يحتقر نفسه وينظر إلى هذا المعنى الدقيق ، قيل إنه كان فى بنى إسرائيل رجل عابد مجتهد وكانوا يفضلونه على أنفسهم فى وقته ، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن قل لفلان سيدنى ما شاء فهو من أهل النار ، فاخبر بنى إسرائيل بذلك فتعجبوا وقالوا ليس فيما يرتضه من الدنيا والجاه فعلى أى شىء كان ذلك وإذا بالوحى قد أتى [illegible]

فلما جن الليل تطهر وصلى ركعتين وقال : اللهم إنى كنت أعبدك ولست عند نفسى أهلا لشىء ، والآن وقد منت على وجعلتنى أهلا لنارك فوعزتك لازال هذا مقامى بين يديك حتى لقاك . فلما أصبح من الغد جاء إلى سيدنا موسى عليه السلام فقال له عليه السلام : إن الله قد أوحى إلى أن قل لفلان يفعل ما يشاء فهو من أهل الجنة لازدرائه لنفسه .

اللهم إنى أشهدك وأنت خير الشاهدين أن هذا من خلق الصوفى الذى عاش مع الله وفى الله ولله إن شاء أجاعه وأظمأه وإن شاء أطعمه ورواه . . .

محمد محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير الوعظ والارشاد

كن مع الله

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوماً فقال لى :

«ياغلام ، انى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله تعالى لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله تعالى عليك ، وقال : احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا »

عند محراب الصـــلاة

للأستاذ على عبد العظيم

عند محراب الصلاة فنيت فى الله ذاتى
وانطوى ماضى وآتى واستوت كل الجهات
وتلاشت نزواتى

طهرت نفسى وجسمى وسما حسى وفهمى
ونمـــــا بالله علمى وغدا نور حياتى

عند محراب الصلاة

أذن الداعى ، وكبر هاتفا : « الله أكبر »
فزكا قلبى وأزهر عامرا بالنفحـــات

عند محراب الصلاة

لك يارب دعائى فى صباحى ومسائى
لك موفـور الثناء وحياتى ومـــــاتى

عند محراب الصلاة

لك صحوى وهجودى وركوعى وسجودى
وقيامى وقعـودى وثنـائى وشكائى

عند محراب الصلاة

طالما فاضت دموعى فى خضوع وخشوع
لك يا خير سميع فتقبل دعـواتى

عند محراب الصلاة

رب كن للمسلمين خير غوث ومعين
وانصر الوادى الأمين واحنا بالمرحمات

عند محراب الصلاة